أركان الإيمان
(١٠-١٤) سنة

الإيمان بالقَضَاء والقَدَر

كتبها

سمير حلبى

رسوم

ماهر عبد القادر

شركة سفير
حلبى ، سمير
الإيمان بالقَضاء والقَدَر / سمير حلبى
١٢ص ، ٢٣×٢٣
١- الإيمان بالقَضاء والقَدَر ٢- الأطفال
أ- حلبى، سمير ب- العنوان
ديوى /٢١٠

جميع الحقوق محفوظة لشركة سفير

رقم الإيداع: ١١٦١٧ / ٢٠٠٤
الترقيم الدولى: I.S.B.N. 977 - 361 - 263 - 5

مَعْنَى الإيمانِ بِالقَدَرِ

الإيمانُ بِالقَدَرِ رُكْنٌ مِنْ أَرْكَانِ الإِيمَانِ، وَهُوَ الإيمانُ بِأَنَّ عِلْمَ اللَّهِ تَعَالَى سَابِقٌ بِمَا يَكُونُ وَبِمَا سَيَكُونُ مِنَ أَعْمَالِ المَخْلُوقَاتِ كُلِّهَا.

فَقَدْ خَلَقَ اللَّهُ تَعَالَى الوُجُودَ كُلَّهُ وِفْقَ نِظَامٍ دَقِيقٍ؛ وَهُوَ يَعْلَمُ كُلَّ صَغِيرَةٍ وَكَبِيرَةٍ فِيهِ، لأَنَّهُ صَانِعُ هَذَا الوُجُودِ وَخَالِقُهُ، فَلا يَحْدُثُ شَيْءٌ فِيهِ إلا بِقُدْرَةِ اللَّهِ وَمَشِيئَتِهِ.

مَنْ يُؤْمِنُ بِقَدَرِ اللَّهِ تَعَالَى وَقُدْرَتِهِ لا يُصِيبُهُ يَأْسٌ مَهْمَا وَاجَهَ مِنَ المَصَاعِبِ وَالأَزَمَاتِ، وَلا يَتَمَلَّكُهُ الكِبْرُ وَالغُرُورُ لِمَا يَتَحَقَّقُ لَهُ مِنْ جَاهٍ أَوْ مَنْصِبٍ أَوْ مَالٍ، فَهُوَ يَتَوَكَّلُ عَلَى اللَّهِ وَيَأْخُذُ بِالأَسْبَابِ التِي خَلَقَهَا اللَّهُ، وَيَطْلُبُ مِنْهُ العَوْنَ وَالفَلاحَ.

عِلْمُ اللَّهِ وعَمَلُ الإِنْسَانِ

اللَّهُ تَعَالَى يَعْلَمُ كُلَّ مَا نَفْعَلُهُ وَمَا لَمْ نَفْعَلْهُ بَعْدُ، وَذَلِكَ لا يَعْنِي أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُجْبِرُنَا عَلَى مَا نَقُومُ بِهِ مِنْ أَعْمَالٍ، فَاللَّهُ تَعَالَى خَلَقَ لَنَا العَقْلَ والإِدْرَاكَ، وَمَنَحَنَا الإِرَادَةَ والاخْتِيَارَ، فَهُوَ تَعَالَى لَمْ يُجْبِرِ السَّارِقَ عَلَى السَّرِقَةِ، وَلا الكَاذِبَ عَلَى الكَذِبِ، وَهُوَ أَيْضًا لَمْ يُجْبِرِ الأَمِينَ عَلَى أَدَاءِ أَمَانَتِهِ، وَلا الصَّادِقَ عَلَى قَوْلِ الصِّدْقِ، وإِنَّمَا هُوَ يَعْلَمُ كُلَّ ذَلِكَ لأَنَّهُ هُوَ الذِي خَلَقَنَا، فَالصَّانِعُ الذِي يَخْتَرِعُ آلَةً أَوْ يَصْنَعُهَا يَعْرِفُ كُلَّ شَيْءٍ عَنْهَا، وَيَعْرِفُ مَا يُمْكِنُ أَنْ تَقُومَ بِهِ مِنْ وَظَائِفَ، وَهَذَا أَمْرٌ هَيِّنٌ بِالنِّسْبَةِ إِلَى اللَّهِ.

مَنْ أسْقَطَ الطِّفْلَ ؟!

كَانَ «أَحْمَدُ» يَسيرُ فِى الطَّريقِ، فَرَأَى طِفْلا صَغيرًا يَتَسَلَّقُ شَجَرَةً عَالِيَةً، وَيَتَأَرْجَحُ بِجِسْمِهِ مِنْ فَوْقِهَا، وَهُوَ يَتَشَبَّثُ فِى أَحَدِ فُرُوعِهَا بِإِحْدَى يَدَيْهِ.

رَاحَ «أَحْمَدُ» يُتَابِعُ الطِّفْلَ بِعَيْنَيْهِ، وَهُوَ يَقُولُ فِى نَفْسِهِ :

- هَذَا الطِّفْلُ سَيَسْقُطُ عَلَى الأَرْضِ إِذَا أَفْلَتَتْ يَدُهُ !

وَفِى هَذِهِ اللَّحْظَةِ أَفْلَتَتْ يَدُ الطِّفْلِ فَسَقَطَ عَلَى الأَرْضِ.

- فَهَلْ تَقْدِيرُ «أَحْمَدَ» وَعِلْمُهُ بِمَا سَيَحْدُثُ لِلطِّفْلِ هُوَ الذِى أَسْقَطَهُ ؟!

- أَمْ أَنَّ الطِّفْلَ سَقَطَ نَتِيجَةَ سُلُوكِهِ هُوَ وَسُوءِ تَصَرُّفِهِ ؟!

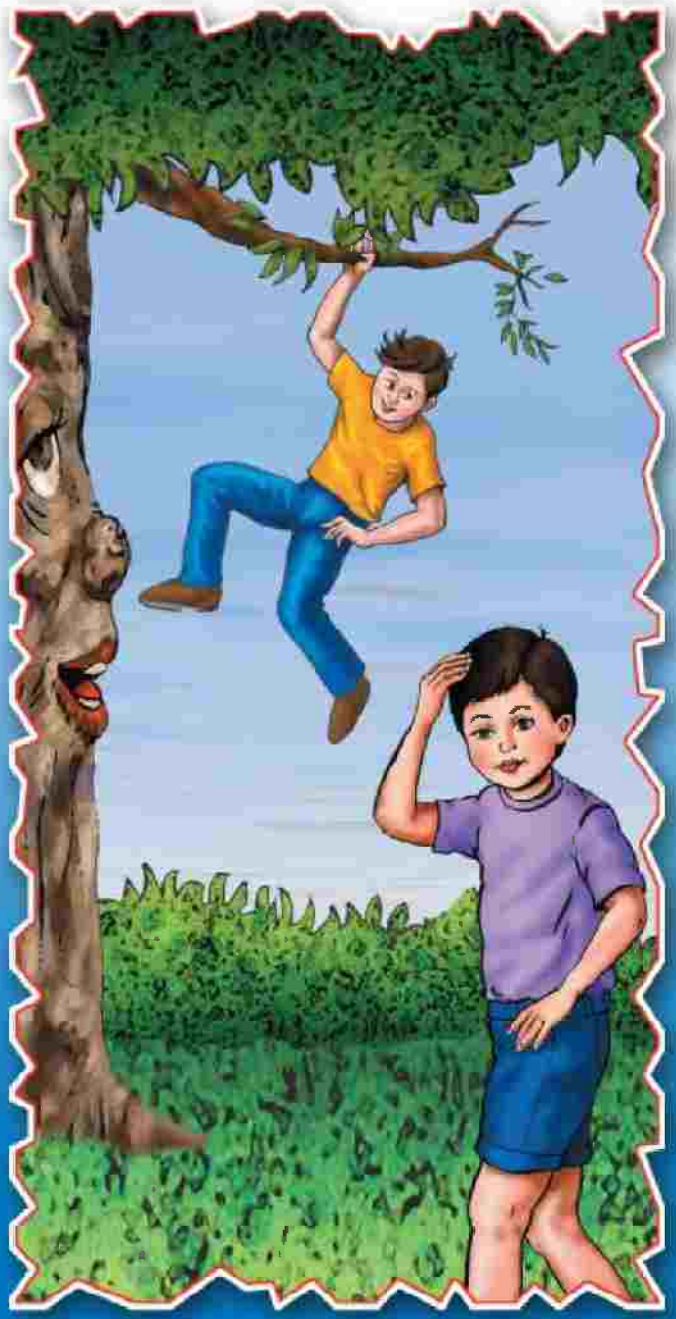

القَدَرُ وَالتَّوَكُّلُ عَلَى اللَّهِ

الإيمَانُ بِالقَدَرِ لَيْسَ مَدْعَاةً لِلتَّوَاكُلِ وَالكَسَلِ، لأَنَّهُ يَعْنِى أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ بِقَدَرٍ، وَجَعَلَ لِكُلِّ شَىْءٍ أَسْبَابًا، فَاللَّهُ تَعَالَى خَلَقَ الدَّاءَ وَخَلَقَ لَهُ الدَّوَاءَ، فَلا يَنْبَغِى عَلَى المَرِيضِ أَنْ يَسْتَسْلِمَ لِقَدَرِ المَرَضِ، وَيُعَرِّضَ نَفْسَهُ لِلْهَلاكِ، وَإِنَّمَا عَلَيْهِ أَنْ يَطْلُبَ العِلاجَ وَيَبْحَثَ عَنِ الدَّوَاءِ.

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :

«تَدَاووا عِبَادَ اللَّهِ فإنَّ اللَّهَ – عَزَّ وَجَلَّ – لَمْ يُنْزِلْ دَاءً إلا أَنْزَلَ لَهُ شِفَاءً، إلا المَوْتَ والهِرَمَ»

(رواه أحمد)

«عُمَرُ» والطَّاعُونَ

خَرَجَ الخَلِيفَةُ «عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ» إِلَى «الشَّامِ»، وَبَيْنَمَا هُوَ فِى الطَّرِيقِ قَابَلَهُ جَمَاعَةٌ مِنَ المُسْلِمِينَ عَائِدِينَ إِلَى «المَدِينَةِ» وَكَانَ مِنْهُم «أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الجَرَّاحِ» وَ«خَالِدُ بْنُ الوَلِيدِ»، فَأَخْبَرُوه أَنَّ وَبَاءَ الطَّاعُونِ قَدْ وَقَعَ فِى «الشَّامِ»، وَحَذَّرُوه مِنْ دُخُولِهَا، فَاسْتَشَارَ «عُمَرُ» مَنْ مَعَهُ، فَأَشَارُوا عَلَيْهِ بِالرُّجُوعِ، فَلَمَّا أَرَادَ العَوْدَةَ قَالَ «أَبُو عُبَيْدَةَ» : – أَفِرَارٌ مِنْ قَدَرِ اللَّهِ ؟!

قَالَ : نَعَمْ. نَفِرُّ مِنْ قَدَرِ اللَّهِ إِلَى قَدَرِ اللَّهِ.

العَمَل وَالتَّوَكل

لابُدَّ مِنَ السَّعْيِ فِى طَلَبِ الرِّزْقِ، وَعَدَمِ الاسْتِسْلامِ لِلْفَقْرِ وَالحَاجَةِ بِدَعْوَى أَنَّ اللَّهَ قَدَّرَ الفَقْرَ، فَقَدْ كَفَلَ اللَّهُ لِلإنْسَانِ رِزْقَهُ، وَلَكِن جَعَلَ لَهُ أَسْبَابًا يَتَحَصَّلُ عَلَيْهِ المَرْءُ مِنْ خِلالِهَا، وَجَعَلَ العَمَلَ والسَّعْيَ سَبِيلا إِلَى الرِّزْقِ واكْتِسَابِ الثَّرْوَةِ والمَالِ.

فَلابُدَّ مِنَ الأَخْذِ بالأَسْبَابِ فِى كُلِّ الأُمُورِ.

«عُمَرُ» والشَّابُّ الكَسُولُ

دَخَلَ «عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ» المَسْجِدَ يَوْمًا، فَرَأَى شَابًا يَبْدُو عَلَيْهِ الفَقْرُ الشَّدِيدُ، قَدِ انْقَطَعَ لِلْعِبَادَةِ، وَلا يَفْعَلُ شَيْئًا غَيْرَ هَذَا، اقْتَرَبَ «عُمَرُ» مِنَ الشَّابِّ فَرَآهُ قَدْ رَفَعَ يَدَهُ إِلَى السَّمَاءِ، وَرَاحَ يَدْعُو بِإِلْحَاحٍ، وَيَقُولُ :

- اللَّهُمَّ ارْزُقْنِى.

غَضِبَ «عُمَرُ» وَقَالَ للشَّابِّ :

- لا يَقْعُدُ أَحَدُكُمْ عَنْ طَلَبِ الرِّزْقِ، وَيَقُولُ : اللَّهُمَّ ارْزُقْنِى. فإنَّ السَّمَاءَ لا تُمْطِرُ ذَهَبًا ولا فِضَّةً !

الإنْسَانُ مُسَيَّرٌ أمْ مُخَيَّرٌ؟!

خَلَقَ اللَّهُ الإنْسَانَ وَمَيَّزَهُ بِالعَقْلِ، وَوَضَعَ الشَّرَائِعَ والأدْيَانَ لِهِدَايَةِ البَشَرِ، وَحَذَّرَهُ مِنَ اتِّبَاعِ الشَّيْطَانِ، وَالانْسِيَاقِ وَرَاءَ الشَّهَوَاتِ، واسْتَمَرَّتْ عِنَايَةُ اللَّهِ بِالبَشَرِ وَرَحْمَتُهُ بِهِمْ - عَبْرَ العُصُورِ والأزْمَانِ - فَأَرْسَلَ إلَيْهِم الرُّسُلَ؛ لِتُرْشِدَهُمْ إلَى طَرِيقِ الحَقِّ والإيْمَانِ.

وَجَعَلَ اللَّهُ الجَنَّةَ والنَّارَ - فِي الآخِرَةِ - لِحِسَابِ النَّاسِ عَلَى الأعْمَالِ التِي قَامُوا بِهَا فِي الدُّنْيَا، لَكِنَّهُ رَفَعَ الحِسَابَ عَنِ المَجْنُونِ الذِي لا يَعْقِلُ، وَعَنْ كُلِّ مَنْ فَعَلَ شَيْئًا وَهُوَ مُكْرَهٌ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا.

ولأنَّ اللَّهُ تَعَالَى هُوَ الذِي خَلَقَ البَشَرَ، فَهُوَ بِعِلْمِهِ وَقُدْرَتِهِ يَعْلَمُ كُلَّ مَا سَيَقُومُ بِهِ النَّاسُ جَمِيعًا مِنْ أعْمَالٍ حَتَّى قَبْلَ أنْ يَخْرُجُوا إلَى الحَيَاةِ، لَكِنَّهُ مَنَحَهُم العَقْلَ والقُدْرَةَ عَلَى الاخْتِيَارِ، وَلِذَلِكَ فَهُوَ يُحَاسِبُهُم عَلَى أعْمَالِهِم.

وَظَائِفُ لا نَقُومُ بِهَا

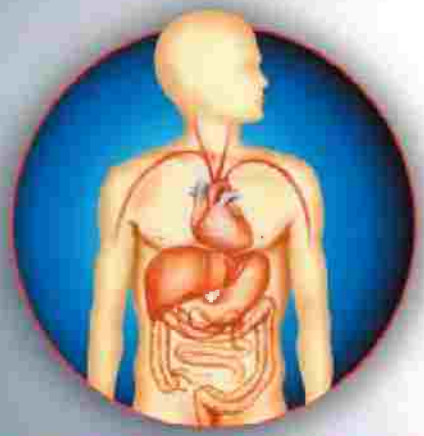

هُنَاكَ أَعْمَالٌ لَيْسَ للإِنْسَانِ إِرَادَةٌ فِيهَا – وَهَذَا مِنْ دَلائِلِ رَحْمَةِ اللَّهِ – مِثْلَ الوَظَائِفِ التِى تَقُومُ بِهَا أَجْهِزَةُ الجِسْمِ المُخْتَلِفَةِ : كَالمُخِّ والقَلْبِ والمَعِدَةِ. فَلَوْ أَنَّ الإِنْسَانَ كَانَ مَسْئُولا عَنْ عَمَلِ تِلْكَ الأَجْهِزَةِ لَكَانَ ذَلِكَ فَوْقَ طَاقَتِهِ، وَلَمَا اسْتَطَاعَ النَّوْمَ حَتَّى للحَظَاتٍ قَلِيلَةٍ، وإلا تَوَقَّفَتْ تِلْكَ الأَجْهِزَةُ عَنِ العَمَلِ.

القَلْبُ مَضَخَّةٌ رَائِعَةٌ

• هَلْ تَعْلَمُ ؟!

– أَنَّ القَلْبَ عُضْوٌ عَضَلِىٌّ كَبِيرٌ مُجَوَّفٌ، يَنْبِضُ فَيَدْفَعُ الدَّمَ إِلَى كُلِّ أَجْزَاءِ الجِسْمِ، وَهَذَا الدَّمُ يَحْمِلُ الأُكْسُجِينَ وَالغِذَاءَ إِلَى خَلايَا الجِسْمِ.

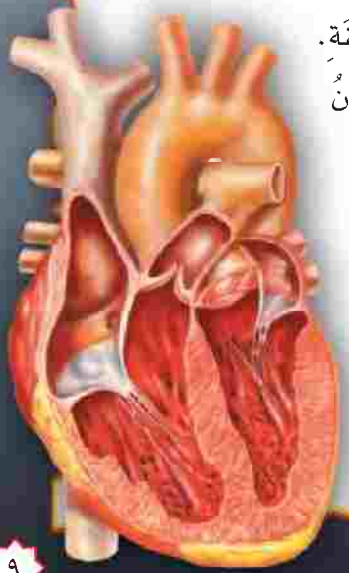

– أَنَّ عَدَدَ نَبَضَاتِ قَلْبِ الإِنْسَانِ البَالِغِ تَتَرَاوَحُ بَيْنَ (٧٠) إِلَى (٨٠) نَبْضَةً فِى الدَّقِيقَةِ.

– أَنَّ النَّبْضَ المُنْتَظِمَ لِلْقَلْبِ يَبْدَأُ فِى الجَنِينِ قَبْلَ وِلادَتِهِ بِنَحْوِ شَهْرٍ، وَيَمُوتُ الإِنْسَانُ إِذَا مَا تَوَقَّفَ قَلْبُهُ عَنِ النَّبْضِ.

– أَنَّ حَجْمَ قَلْبِ الإِنْسَانِ يُعَادِلُ حَجْمَ قَبْضَةِ يَدِهِ تَقْرِيبًا، وَيَزِنُ قَلْبُ الطِّفْلِ الوَلِيدِ نَحْوَ (٢٠) جِرَامًا، بَيْنَمَا يَبْلُغُ وَزْنُ قَلْبِ الإِنْسَانِ البَالِغِ نَحْوَ (٢٥٠) جِرَامًا.

– أَنَّهُ تَنْتَشِرُ دَاخِلَ جِسْمِ الإِنْسَانِ شَبَكَةٌ وَاسِعَةٌ مِنَ الأَوْعِيَةِ الدَّمَوِيَّةِ الدَّقِيقَةِ يَبْلُغُ طُولُهَا (٩٦,٥٠٠) كِيلومترًا.

– أَنَّ كَمِّيَّةَ الدَّمِ التِى تُوجَدُ فِى جِسْمِ الإِنْسَانِ تُقَدَّرُ بِنَحْوِ (٥) لِتْرَات.

الشَّيْخُ العَجُوزُ وَالعَرَّافُ الدَّجَّالُ

فى إحْدَى القُرَى البَعيدَة كَانَ هُنَاكَ شَيْخٌ عَجُوزٌ، وَكَانَ مَعْرُوفًا بالحِكْمَة والذَّكَاء، وَذَاتَ يَوْم جَاءَ إلَى القَرْيَة رَجُلٌ عَرَّافٌ يَدَّعى السِّحْرَ، وَيَزْعُمُ أَنَّهُ يَعْرِفُ مِنَ النُّجُومِ مَا يُمْكِنُ أَنْ يَحْدُثَ لأَىِّ إنْسَان، وَاسْتَطَاعَ الرَّجُلُ بِمُعَاوَنَة بَعْض أَهْلِ القَرْيَة أَنْ يَخْدَعَ كَثِيرًا مِنَ البُسَطَاء، الَّذينَ صَدَّقُوهُ وَرَاحُوا يُرَوِّجُونَ لَهُ وَيُهَوِّلُونَ مِنْ أَمْرِه.

وَكَانَ الشَّيْخُ العَجُوزُ يَرَى ذَلكَ فَيَأْخُذُهُ الحُزْنُ، وَيَنْصَحُ النَّاسَ وَيُحَاوِلُ أَنْ يُبَصِّرَهُمْ بِحَقِيقَةِ الرَّجُلِ، لَكِنَّهُمْ لَمْ يُصَدِّقُوهُ، وَتَمَادَوْا فى الانْبِهَارِ بالرَّجُلِ وَ التَّرْوِيجِ لَهُ.

فَكَّرَ الشَّيْخُ طَوِيلا وَ قَرَّرَ أَنْ يَكْشِفَ أَمْرَ هَذَا المُحْتَالِ أَمَامَ النَّاس، فَذَهَبَ إلَيْه فى مَجْلسه وَقَد اجْتَمَعَ حَوْلَهُ أَهْلُ القَرْيَة، يَسْأَلُونَهُ وَيُقَدِّمُونَ لَهُ الهَدَايَا، فَتَقَدَّمَ الشَّيْخُ العَجُوزُ مِنَ العَرَّافِ وَقَالَ لَهُ :

– أَنَا أَحَدُ أَبْنَاءِ هَذِهِ القَرْيَةِ، وَقَدْ سَمِعْتُ عَنْكَ أَخْبَارًا عَجِيبَةً وَنَوَادِرَ غَرِيبَةً، وَأُرِيدُ أَنْ أَتَزَوَّجَ امْرَأَةً مِنْ أَهْلِ القَرْيَةِ، فَهَلْ تَنْصَحُنِي بِإِتْمَامِ هَذَا الزَّوَاجِ ؟!..
وَذَكَرَ لَهُ الشَّيْخُ العَجُوزُ اسْمَ زَوْجَتِهِ وَصِفَاتِهَا، فَأَخَذَ العَرَّافُ حَفْنَةً مِنَ البُخُورِ، وَقَذَفَ بِهَا فِي النَّارِ أَمَامَهُ، وَرَاحَ يُتَمْتِمُ بِكَلِمَاتٍ غَيْرِ مَفْهُومَةٍ، ثُمَّ الْتَفَتَ إِلَى الشَّيْخِ العَجُوزِ وَقَالَ لَهُ :
– لا .. لا يَجِبُ أَنْ تَتَزَوَّجَ مِنْ هَذِهِ المَرْأَةِ، فَهِيَ شُؤْمٌ عَلَيْكَ، فَإِنَّكَ إِنْ تَزَوَّجْتَهَا فَسَوْفَ تَمُوتُ بَعْدَ ثَلاثَةِ أَيَّامٍ.
أَخَذَ النَّاسُ يَضْحَكُونَ فِي صَوْتٍ عَالٍ، بَيْنَمَا العَرَّافُ يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ فِي دَهْشَةٍ، وَهُوَ لا يَعْرِفُ السَّبَبَ، فَنَادَى الشَّيْخُ زَوْجَتَهُ وَأَوْلادَهُ، فَخَرَجُوا مِنْ بَيْنِ النَّاسِ، فَقَدَّمَهُمْ إِلَى العَرَّافِ قَائِلا :
– هَذِهِ هِيَ المَرْأَةُ الَّتِي حَدَّثْتُكَ عَنْهَا، وَقَدْ تَزَوَّجْتُهَا مُنْذُ أَكْثَرَ مِنْ ثَلاثِينَ عَامًا، أَمَّا هَؤُلاءِ فَهُمْ أَوْلادِي مِنْهَا.
رَاحَ العَرَّافُ يَجْمَعُ أَدَوَاتِهِ فِي صَمْتٍ، وَهُوَ يَنْظُرُ إِلَى الشَّيْخِ العَجُوزِ بِغَيْظٍ، ثُمَّ أَسْرَعَ يُغَادِرُ القَرْيَةَ، بَيْنَمَا الْتَفَّ أَهْلُ القَرْيَةِ حَوْلَ الشَّيْخِ يَشْكُرُونَهُ وَيَعْتَذِرُونَ إِلَيْهِ.

لا يَعْلَمُ الغَيْبَ إلا اللَّهُ

اللَّهُ وَحْدَهُ هُوَ الذى يَعْلَمُ الغَيْبَ، وَيَعْلَمُ كُلَّ مَا حَدَثَ فِى الكَوْنِ مُنْذُ أَنْ خَلَقَهُ، وَمَا يَحْدُثُ الآنَ فِى أَىِّ مَكَانٍ، وَمَا سَوْفَ يَحْدُثُ فِى المُسْتَقْبَلِ، وإِلَى أَنْ تَقُومَ السَّاعَةُ.

وَلا أَحَدَ يَعْلَمُ الغَيْبَ غَيْرُ اللَّهِ تَعَالَى، وَهُوَ لا يُطْلِعُ عَلَيْهِ أَحَدًا مِنْ خَلْقِهِ، وَلا يُشَارِكُهُ فِى عِلْمِهِ أَحَدٌ مِنَ البَشَرِ وَلا مِنَ الجِنِّ وَلا مِنَ المَلائِكَةِ المُقَرَّبِينَ.

وَلَكِنْ يَسْتَطِيعُ الإِنْسَانُ – عَنْ طَرِيقِ العِلْمِ الذى يَسَّرَهُ اللَّهُ لَهُ – أَنْ يَتَوَقَّعَ بَعْضَ الأَشْيَاءِ التى لَهَا أُسُسٌ عِلْمِيَّةٌ، مِثْلَ : حُدُوثِ البَرَاكِينِ، أَوْ سُقُوطِ الأَمْطَارِ، أَوْ تَوَقُّعِ دَرَجَةِ حَرَارَةِ الجَوِّ.

ولكِنْ لا يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ أَنْ يُحَدِّدَ بِدِقَّةٍ أَعْمَارَ البَشَرِ، وَلا مَا سَوْفَ يَحْدُثُ لأَىِّ شَخْصٍ مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ.